يقوم بعملية تعويض للعمالة بواسطة حركة استرقاق تاريخية كبرى. وقد تمّ ذلك في تواكب وتزامن مع استمرار حركة الهجرة الأوروبية نحو العالم الجديد. لقد وصلت أعداد المهاجرين، في مرحلة معيّنة، الى مليون نسمة في العام الواحد[١٢]. ولكن هذه الهجرة، على ضخامتها، لم تكن بكافية للوفاء بحاجات التوسع الاقتصادي في أراض معظمها بكر وتحوي موارد ضخمة، ممّا جعل القوى الأوروبية تنشط في تجارة الرقيق ونقل البشر، من أفريقيا بصفة خاصة. وقد ألحقت هذه السياسة اللاإنسانية أفدح الأضرار بالقارة الأفريقية، على الصعيد الاقتصادي والانساني. وفي ذلك، أثبتت دراسات حديثة أنه بين العامين ١٦٥٠ و ١٨٥٠، أي في غضون قرنين كاملين، ظل عدد سكان أفريقيا يراوح حول المئة مليون نسمة، دون زيادة تذكر؛ وأن تلك الظاهرة ما كان لها أن تحدث دون عمليات الاسترقاق ونقل السكان الى العالم الجديد. وهذا ما دعا الرئيس الغيني الراحل، أحمد سيكوتوري، الى القول ان «القارة الأفريقية عانت [ولا تزال] بسبب جرائم الرقيق؛ كما أن امكاناتها ظلت محدودة، بسبب نقل السكان»[١٣].

تركت النماذج الاستيطانية، التي أفرزتها حركة الاستعمار الأوروبي الكبرى، انعكاسات بالغة الأثر على الخارطة السكانية الاجتماعية والأقتصادية والسياسية للعالمين، القديم والجديد. وفي هذا السياق، أصيبت فلسطين، في المنطقة العربية، برياح هذه الموجات الاستيطانية ممثّلة في النموذج الصهيوني. يمكن القول، والحال كذلك، ان دراسة النموذج الصهيوني في التعامل مع البعد السكاني في الصراع الاسرائيلي ـ العربي، لا تصحّ سوى في ضوء دراسة النماذج الاستيطانية الأوروبية السابقة عليه، والمواكبة له. هذا مع ملاحظة أن دراسة النموذج الصهيوني عليها أن تأخذ في الاعتبار ما يتمتع به من خصوصية، كونه أسوأ النماذج المعروفة على الاطلاق.

وتتأكد صحّة هذا الفهم عند الاشارة الى أن المعالجات التي تضعها اسرائيل في الوقت الحاضر، وتلك التي يتصورها صانع القرار الاسرائيلي مستقبلاً، في ما يخص إدارة البعد السكاني للصراع في فلسطين، هي معالجات تراعي الاستفادة القصوى من الأساليب التي اتبعتها النماذج الاستيطانية القرينة، وذلك بالمعنى التاريخي القديم (مثل الاستفادة بالتجربة الصليبية)، وبالمعنى الأقرب الى عصرنا الحاضر (مثل النموذجين الانجلو ـ سكسوني واللاتيني وتجربة جنوب أفريقيا بصفة خاصة). فبالاضافة الى النموذج الصهيوني لمختلف الحلول التي عرفتها النماذج السابقة، من إبادة وعزل وإرهاب للسكان الأصليين، نشير الى درس هام وعاه الصهيونيون عن التجربة الصليبية القديمة، وتجربة الهجرة والاسترقاق الأوروبي الأحدث. فقد سبق وذكرنا كيف أن الصليبيين لم يعتنوا بعنصر الانتقاء السكاني، وكيف استقبلت مستوطناتهم الكثيرين من العجزة الشيوخ والنساء والأطفال، ممّن شكلوا عبئاً عند الصدام بالقوة العربية الاسلامية. هذا بينما عنى المشروع الصهيوني الاستيطاني بانتقاء العناصر المهاجرة الى فلسطين، بحيث تكون عناصر شابة فتية، أو علمية مؤهلة، صالحة للعطاء في أوقات السلم والحرب[١٤]؛ وهو ما لا يدل على أخذ التجربة الصليبية في الاعتبار فقط، بل ويدل، كذلك، على مراجعة التجربة الأوروبية في الاسترقاق؛ فقد كان تجار الرقيق الأوروبيون يفضلون أن تكون ضحاياهم بين الخامسة عشر والخامسة والثلاثين من عمرهم، أي في سن الفتوة والخصوبة، ويشحنون من هؤلاء الى مستوطناتهم الجديدة، الأكثر صحة وعافية[١٥].

التكييف الصهيوني ـ الاسرائيلي للمشكلة السكانية

بتطوّر الصراع الصهيوني ـ العربي، بعامة، والبعد الاسرائيلي ـ الفلسطيني في هذا